المجاراة بين التدقيق والتحقيق

د.مخن مجول سامية[1]
[1]جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 29-10-2020؛ تاريخ المراجعة : 07-09-2021 ؛ تاريخ القبول : 31-10-2021

ملخص :

يهدف هذا العرض النظري إلى توضيح مفهوم المجاراة ورفع اللبس بينه وبين مفاهيم مشابهة في مجال علم النفس الاجتماعي كما يحاول إبراز أهمية المصطلح من خلال الدراسات الأولى التي خاضت فيه وكيف يمكن استغلال أبعاده النظرية في تفسير الظواهر الإجتماعية فاستهل بتفرقة مفاهيمية ثم عرض للأبعاد النظرية و من ثمة أهم التجارب التي أجريت حوله ليخلص في الأخير إلى توضيح أبرز النظريات المفسرة للمفهوم.

الكلمات المفتاحية : المجاراة ، المخالفة ، الاستقلال.

Abstract :

This theoretical presentation aims at clarifying the concept of conformity and dispelling any ambiguity to make a distinction between this concept and the similar ones in psychosocial field. It highlights the importance of this concept in previous studies and how to adapt its theoretical aspects in interpreting social phenomena. It deals first, with the conceptual differentiation. Then, it displays the theoretical aspects and the main performed tests on this concept. Finally, it emphasizes the main theories that interpret such concept.

Keywords :conformity- non conformity- independent opinion.

I- تمهيد :

يعتبر علم النفس الاجتماعي حقلا معرفيا يزودنا بتفسيرات علمية لظواهر إنسانية صعبة التفسير فهو يدرس حركة الفرد في المجتمع في تفاعلاته وفي اتصالاته مع الأفراد والجماعات يؤثر فيهم ويتأثر بهم في خضم الأزمات والظروف الضاغطة التي يعيشها الفرد في مجتمعه.

و تعتبر المجاراة من أبرز أشكال السلوك داخل الجماعات، فحين يتفاعل الأفراد تتولد الضغوط نحو التماثل، و يميل كل عضو في الجماعة لأن يسلك بطريقة تتماثل مع العضو المنوالي (Model group member) في الجماعة، حتى أن (كريش و كرتشفيلد Krech &Kruchfild) يذكران أنه من الممكن تسمية هذا العصر بعصر المجاراة، أما ما يسمى بعصر القلق أو عصر التكتل أو غيرها من المسميات الأخرى، فهي في الواقع مرتبطة سيكولوجيا بالمجاراة، ولا أدل على ذلك مما عاشته البلاد في فترة الحراك الشعبي الذي يبدو أنه يأخذ صبغة سياسية في شكل انتفاضة شعبية لكن تحليله النفس اجتماعي يعتمد في أحيان كثيرة على طابع المجاراة التي تفسر المواقف المتناقضة للجماعات المشاركة في الحراك ولا يمكن فهم ذلك إلا من خلال تفحص مفهوم المجاراة في حد ذاته وما يحمله من مكونات لها القدرة على تحليل خبايا المواقف

الاجتماعية ويؤكد ذلك (حسن1998ص11) بأن دراسة المجاراة على المستوى الأكاديمي تعتبر من أهم مجالات البحث إثارة للاهتمام في ميدان علم النفس الاجتماعي في السنوات الأخيرة.

كما أنه منذ قديم الزمان وحيث استقر الإنسان لعمارة الأرض فرضت عليه من واقع طبيعته الخاصة ككائن اجتماعي عمليات التكيف الاجتماعي والتوافق مع الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها. فالجماعة المحيطة بالفرد قد تؤثر على شخصيته وسلوكه وتطبيعه بطبائعها ومن هنا كانت البدايات الأولى للإنسان تقتضي منه الاندماج في الكيان الاجتماعي. وأن يجعل ذاته جزءا من النسيج الاجتماعي تعقيدا أو تركيبا أو امتدادا ازدادت معه عمليات الضغط التي تمارسها الجماعة على أفرادها رغبة منه في المحافظة على كيانها واستمرارها (سمور 2012 ص02) .

وبالتالي فقد أخذت المجاراة نصيبا من اهتمام الباحثين كونها لصيقة بوجود الإنسان وحتمية عيشه في جماعات فهناك من ربطها بمتغيرات متعلقة بالشخصية كالمستوى الاقتصادي والاجتماعي جنس الفرد وعمره ... ومتغيرات متعلقة بالموقف كضغوط الجماعة، حجمها، المناخ الأسري ... وكذا متغيرات الثقافة السائدة بما في ذلك النظام السياسي المتبع، وهناك من ربطها بالتحصيل الدراسي (ابن مانع 1933) وآخر بالمشكلات السلوكية (زكي 2000) وكذا الإتجاه نحو تعاطي المواد النفسية (الشريف 2010) وأيضا ضغوط العمل (ملاخة 2011)

وقد تباينت هذه الدراسات في تناول الموضوع هدفا وعينة وأداة.

ورغم هذا التنوع في التناول إلا أن مفهوم المجاراة يبقى في حاجة إلى التوضيح ولفت انتباه الباحثين في بلادنا على وجه الخصوص للغور في ثناياه والاعتماد على تفسير المواقف والأزمات من خلاله. وهذا ما يهدف إليه هذا المقال ،أن يزيل اللبس الحاصل بين بعض المفاهيم التي تبدو في ظاهرها متشابهة لكنها تفترق في جوهرها وبالتالي يكون من السهل على القارئ التطرق إلى بقية العناصر بوضوح أكثر فيتعرف على مفهوم المجاراة وما جاء حول تعريفها من اختلافات في وجهة نظر الباحثين، حتى إذا ما اطلع عن التجارب التي أجريت في موضوع المجاراة يجد رصيدا يرتكز عليه في فهمها وهي بدورها تصبح ركيزة لتحليل الأحداث التي يعيشها المجتمع اليوم.

ومن ثم يمكن أن نجيب على السؤال الذي يطرح نفسه :كيف يمكن أن نستغل ثراء هذا المفهوم النظري في تحليل الأحداث الاجتماعية والسياسية الراهنة ؟.

II - تفرقة مفاهيمية:

المجاراة (Conformity): يقابل هذا المصطلح مفردات أخرى في ظاهرها تحمل المعنى نفسه لكنها في الواقع تختلف، حتى أن غير المتعمق في الموضوع يتساءل إذا كانت المجاراة هي الطاعة أم الإذعان أم التماثل أم الاتباعية؟ وذلك لما يجمع بين هذه المفاهيم من مظاهر سلوكية لكنها في الحقيقة تختلف في دلالتها النفسية، فالطاعة " Obetion " تشير إلى الامتثال لأوامر الآخرين أو الخضوع للقوة دون إبداء أية تساؤلات أو أنها عملية الامتثال للسلطة سواء كانت السلطة قانونية أم والدية، أو أيه سلطة أخرى، يعد الامتثال لها والعمل بموجب الأوامر الصادرة عنها طاعة، وعلى ذلك فإن الطاعة هي الامتثال للأوامر دون إبداء أية مقاومة، وعلى الفرد الانصياع لها. (فلندال 1983 ص 762)

أما الإذعان " Compliance "، فيشير إلى أن الفرد يمتثل لأوامر الجماعة دون أن يرافق ذلك القناعة بشرعية الامتثال لتلك الأحكام أو للأوامر الصادرة عنها، بمعنى أن الفرد يتصرف طبقا لأحكام الجماعة وما عزمت عليه من أمور، بيد أنه غير مقتنع تماما بالامتثال لأحكامها وقراراتها، ولأن في هذا الامتثال ما يجنبه النقد والاستهجان وعدم الإذعان لها يعرضه إلى الحرمان من المكافآت.

أما التماثل "Uniformity" فيخص المعتقد و السلوك حسب كريش و زملائه و هو ينتج عن مصادر عديدة قد لا تكون مرتبطة تماما بالضغوط الاجتماعية نحو توحيد المعتقد، فاعتقاد معظم الناس بأن الأرض كروية لا يمثل شاهدا على المجاراة، و الأمر نفسه بالنسبة للاتباعية و إن كانت استجابة لضغوط اجتماعية لا يمكن أن تكون مفهوما مكافئا للمجاراة

لأن غياب الصراع و رغبة الفرد واستعداده لتبني اتجاهات معينة هو ما يميز مثل هذه الأنماط من التأثير الاجتماعي عن المجاراة، و يمكن القول أن الأشخاص الإتباعيين عادة ما يكونون أكثر مجاراة. (حسن 1998 ص 18)

وبالتالي فإن تمييز مفهوم المجاراة عن مفاهيم أنماط التأثير الاجتماعي الأخرى يعد أمرا ليس بالهين خاصة مع تداخل عمليتي الصراع والتغيير الناشئين عن ميل الفرد للتوفيق بين التوجهات المتناقضة.

مما سبق يتضح أن ثمة علاقة بين المفاهيم الثلاثة فهي تشير جميعها إلى أن الفرد يبدي امتثالا و خضوعا و طاعة عندما يؤدي دورا في موقف ما، و على هذا الأساس فإن المجاراة تقتضي أن يكون هناك قناعة في الامتثال لأمر معين، بينما لا تشترط الطاعة ذلك، إنها تشترط الخضوع لأوامر السلطة فحسب بقناعة أو بغير قناعة أما الإذعان يشترط أن يكون هناك مجاراة شكلية لأحكام الجماعة و لكن دون اقتناع بما عزمت عليه الجماعة كما أن الإذعان لا يشترط تغيرا في الاتجاهات فقط، بل يشترط أن يغير الفرد بعض الأنماط السلوكية الصادرة عنه مما ينسجم وطبيعة الموقف الذي يمر به، وعند زوال الضغوط الموجهة إلى الفرد فإنه يعود إلى ما كان عليه.

III - مفهوم المجاراة وطبيعتها:

يذكر (ماك ديفيد Mc David) و (بيركويتز Berkowitz) أن دراسة المجاراة تعترضها مشكلة بارزة هي مشكلة التعريفات الدقيقة

و القاطعة مثلما تبين ذلك في العنصر السابق من هذا المقال بالإضافة إلى الصعوبة في تجميع نتائج البحوث، و الدراسات الخاصة بالموضوع و قلما نجد دراسات تحاول التصدي لهذه المشكلة من الناحية النظرية و يرجع (آشAsch) هذه الصعوبة إلى الطبيعة المعقدة والمتشابكة لهذا المجال من السلوك البشري، و تثار هذه المشكلة عند التعامل مع المجاراة على أنها ظاهرة ذات أساس سيكولوجي واحد، بيد أن المجاراة ليست فئة سيكولوجية "Psychological Category"بل تصنيف "External Classification " قد يحوي ظواهر غير متجانسة أو متغايرة من الناحية السيكولوجية، و بالتالي فإن تعريف المجاراة على أنها تغير في الاتجاه نحو الآخر في موقف ملائم، إنما يمثل وصفا عاما لاتجاه سلوكي قد يرجع أساسا لأسباب متعددة.

أما (كيسلر kiesler) فإنه يعزي سبب الغموض و التعقد في مفهوم المجاراة إلى عدم تحديد الباحثين لافتراضاتهم التي ينطلقون منها لدراسة المجاراة، و هو يوضح بأن هناك أنواعا من المجاراة بمقدار وجود مواقف ضاغطة مما يجعل المجاراة ذات نمط نوعي خاص و ما يثير التعقيد هو الفشل في كشف المعنى العميق للمجاراة أو محاولة تعميم مفهوم نوعي للمجاراة على أنماط أخرى لهذا المجال السلوكي و ما يوضح هذا الطرح

و يدعمه، أن في بحوث آش و كريتشفيلد و جاكسون و غيرهم نجد أن الاهتمام الرئيس هو الوقوف عند معنى محدد للمجاراة، و هو تغير الحكم الأكثر صحة، إلى حكم أقل صحة نتيجة ضغط اجتماعي يصطنع تجريبيا و بمهارة شديدة.(حسن 1998 ص 13).

وبالتالي هل يمكن إسقاط هذا المفهوم على أحداث الحراك الشعبي؟ كيف اقتنعت كل الجماعات في ربوع الوطن شرقه وغربه، شماله وجنوبه بوجوب التغيير؟ أليس للمجاراة هنا دور في ازدياد أعداد المسيرات أسبوعا بعد أسبوع؟. وهل كانت هذه المجاراة مجرد التفاف حول صفوف الجماعات أم أنها قناعة حقيقية لكل من شارك فيها؟

بينما يختلف الوضع إذا ما عمم هذا الموقف التجريبي لبحوث آش و كريتشفيلد على مواقف أخرى دون التمييز بين أنواع معينة من المجاراة، حيث أن المجاراة في المواقف المعملية تختلف عن مجاراة مجموعة من الأصدقاء أو بعض أفراد الأسرة في الحياة الخارجية مثلما سنرى ذلك في العنصر اللاحق من هذا المقال، و حتى نصل إلى فهم طبيعة المجاراة و

نلم بحدودها النظرية نتطرق إلى ما وصل إليه (كيسلرKiesler) حول مفهوم المجاراة حيث وضع ثلاثة طرق متميزة يستخدم مفهوم المجاراة في إطارها و هي :

أولا: المجاراة كخاصية مستقرة في الشخصية.
ثانيا: المجاراة كمتغير معرفي أو اتجاهي ناتج عن ضغط الجماعة الحقيقي أو المتخيل وهو يسمى بالتقبل الشخصي.
ثالثا: المجاراة كنوع من الموافقة الجماعية، وهو ما يطلق عليه كليمان لفظ الانصياع العام " Public Compliance".

و يمكن القول أن عرض كيسلر يلم بمعظم المفاهيم المطروحة في هذا المجال إذ يوافقه في ذلك (روكيشRokeach) الذي يفرق بين المجاراة كحالة عقلية يتوقف وجودها على أنواع خاصة من الضغط الاجتماعي، و بين المجاراة كحالة دائمة ثابتة في الشخصية، و بالطريقة نفسها يفرق كريش و كريشفيلد (Krech&Cruchfield) بين المجاراة كسمة للشخصية و المجاراة كسمة للموقف، فقد يجد الشخص نفسه حتما في مواقف تكون المجاراة فيها السلوك الممكن و المعقول ، حيث يجاري الآخرين بالفعل، فتصبح المجاراة هنا سمة لموقف، وهذا ما حدث في بعض جماعات الحراك مثلا.

وعلى المنوال نفسه يميز(ويلزWillis) بين التعريفات الحركية للمجاراة و التعريفات الاتفاقية لها، ففي المجاراة الحركية ينصب الاهتمام على كمية التغير في حكم الفرد أو اتجاهه أو سلوكه نحو الوضع السائد في الجماعة، بينما يهتم التعريف الإتفاقي بدرجة الإتفاق بين استجابة الفرد و الوضع الذي تتبناه الجماعة.

لكن ما يعاب على هذا المفهوم أن مجرد الاتفاق أو التطابق لا يمثل بالفعل مؤشرا على وجود المجاراة، إذ لا يمكن أن نقرر ما إذا كانت الجماعة هي التي غيرت حكم الفرد أو أن الأعضاء قد اتفقوا بمحض الصدفة أو القصد.(حسن 1998)

مما سبق نستنتج أن كلا من ويلز وكيسلر يربط المجاراة بخاصية التغير بينما كريش واتباعه يربطونها بحالة الصراع، وبالتالي فإن كلا من التغير والصراع يمثلان الوتر الحساس لمشكلة مفهوم المجاراة، هذا التوتر الذي يمثل أساس التمييز بين المجاراة وأنماط السلوك الأخرى المتعلقة بها والتي تمت محاولة توضيح الفروق بينها في العنصر السابق من هذا المقال.

وبعد الوقوف على هذا الأساس في توضيح طبيعة المجاراة ومفهومها، نتوقف عند أساس آخر يزيد الموضوع عمقا ووضوحا في الوقت نفسه، هو معرفة الشكل الفعلي لاستجابة المجاراة، حيث يوضح(شريف) أنه ليس ثمة سلوك مجاري أو سلوك منحرف بشكل مطلق، فالمجاراة لشيء ما، والانحراف أيضا مفارقة لشيء ما، قد يكون هذا الشيء أساليبا سائدة أو معتادة أو متوقعة في التعامل مع الوقائع المحيطة بالفرد، وبطريقة أخرى يعبر (سكورد Secord) أن التوقع المشترك من قبل الجماعة يحدد نوع السلوك الذي يعتبر ملائما لموقف معين.

ويذكر كريش وزملاؤه أن هناك شكلا آخر لاستجابة المجاراة علاوة على السلوك الظاهري هو السلوك اللفظي المرتبط بمدركات الفرد وأفكاره ومشاعره التي تضبطها الجماعة التي ينتمي إليها كأن يقول الفرد ما ينم عن اتفاقه مع ما تقوله الجماعة، وتبدو أهمية السلوك اللفظي في أن قدرا كبيرا من السلوك المجاري للفرد في حياته اليومية يتسم بالطابع اللفظي.

و يتحدث ميلجرام (Milgram) بطريقة أخرى عما يسمى بالمجاراة الإشارية " signal conformity " و المجاراة الفعلية " Action conformity"، الإشارية تبدو واضحة في دراسات (آشAsch) المعملية حيث ينحو المفحوص نحو إشارة ما من ناحية المجرب، أما الفعلية فهي التي تستخدم فيها أفعال سلوكية مريعة كإيقاع الأذى بالآخرين.

و يعلق (ديفال و ويكلاندDuval &Wichland) على هذا الرأي أن سلوك المجاراة قد ينتج عن وجود العامل (أ) أو العامل (ب) أو كليهما معا، و دون توافر معلومات إضافية و مسبقة عن طبيعة الموقف الذي يحدث فيه هذا السلوك سيكون من المستحيل التعرف على أسبابه

وبالتالي لا يمكن تقديم إجابة واحدة حول التساؤل المطروح: لماذا يجاري الناس؟ وأن نظرية واحدة للمجاراة لا تكفي لتفسير هذا السلوك. (حسن 1998 ص 24)

يبدو أن طبيعة سلوك المجاراة تكشف فعلا عن تعقدها حتى بعد الغور في مكتنفاتها لكن يمكن للمحطة الثالثة من هذا المقال أن تساهم في تبسيط الأمور أكثر.

V- الأبعاد النظرية للمجاراة :

يوضح كيلسر أن قدرا من الغموض حول المجاراة يمكن أن يتلاشى بمناقشة المستويات المتنوعة لهذه الظاهرة و التي يمكن أن تخضع للفحص الأمبريقي ويعتبر جهود (ويلز Willis 1965-1963) إحدى المحاولات البارزة في هذا الاتجاه فقد طرح سبعة نماذج نظرية تجسد أبعاد المجاراة، و هي نماذج نظرية وصفية في أساسها و ليست تفسيرية، و هذا يعني أن ويلز كان معنيا أكثر بوصف المجاراة كظاهرة سلوكية أكثر من البحث عن العوامل المحددة لها.

و فيما يلي عرض لنماذج ويلز: (نقلا عن حسن 1998 ص 59- 64)

النموذج الأول:

شكل رقم (1) يوضح النموذج الأول لأبعاد المجاراة

(اللامجاراة ـــــــــــــــــ المجاراة)

وهو أبسط النماذج، حيث توضح المجاراة على طرف مقابل اللامجاراة ويمثلان متصلا ثنائي القطب

النموذج الثاني:

شكل رقم (2) يوضح النموذج الثاني لأبعاد المجاراة

اللامجاراة

(اللامجاراة ـــــــــــــــــ المجاراة)

وهو أكثر ارتقاء حيث تمثل اللامجاراة والمجاراة واللامجاراة، ثلاث نقاط على متصل ثنائي القطب، بمعنى أن الفرد يمكن أن ينحرف عن المجاراة في اتجاهين مختلفين.

النموذج الثالث:

شكل رقم (3) يوضح النموذج الثالث لأبعاد المجاراة

(الاستقلال ـــــــــــــــــ المجاراة)

وهو أكثر النماذج شيوعا بيد أنه قلما يصرح به، بمعنى أنه يكون مضمرا في أذهان الباحثين، ويعني هذا النموذج أنه كلما كانت مجاراة الفرد مرتفعة كلما كان استقلاله منخفضا، وقد استخدم بكثرة في دراسات آش.

النموذج الرابع:

شكل رقم (4) يوضح النموذج الرابع لأبعاد المجاراة

الاستقلال

(التحول ـــــــــــــــــ المجاراة)

ويشمل على المجاراة والاستقلال والتحول، ويفترض هذا النموذج حيث توجد ثلاث استجابات متاحة للمفحوص، فإما أن يجاري الجماعة ويتبنى رأيها متخليا عن رأيه الشخصي، وإما أن يظل مستقلا ولا يغير رأيه على الإطلاق، وإما أن يرتد ويغير رأيهومن ثم يغدو أكثر تناقضا أو تباعدا عن الجماعة من ذي قبل، ولم يستخدم هذا النموذج بكثرة.

النموذج الخامس:

شكل رقم (5) يوضح النموذج الخامس لأبعاد المجاراة

ويشتمل هذا النموذج على ثلاثة أبعاد أساسية هي: المجاراة والاستقلال والمجاراة المضادة، ويشير كريش وزملاؤه إلى أن هذه المتغيرات ليست نقاطا ثلاثة على متصل مفرد، وبالأحرى فهي ثلاث زوايا لمثلث، وأن الفهم الملائم لمشكلة المجاراة ككل يجب أن يضع في اعتباره الفروق الهامة بين هذه الأشكال الثلاثة للتأثير الاجتماعي كما استخدم كرتشفيلد هذا النموذج في دراسته عن المجاراة وخصائص الشخصية.

النموذج السادس:

شكل رقم (6) يوضح النموذج السادس لأبعاد المجاراة

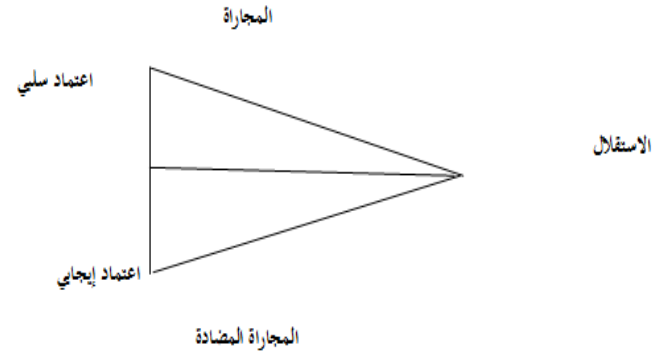

وهو نموذج يفترق بشدة عن النماذج ذات البعد الواحد، والخاصية المهمة لهذا النموذج هي التمييز بين نوعين من اللامجاراة هما: الاستقلال والمجاراة المضادة وتكشفان في هذا النموذج عن الإعتماد على الآخرين، فبالنسبة للمجاراة يأخذ ذلك الاعتماد شكل استجابة ايجابية لتوقعات الآخرين. وفي حالة المجاراة المضادة يأخذ شكل استجابة سلبية لهذه التوقعات، فالشخص الذي لا يجاري عبر المجاراة المضادة لا يزال مرتبطا بمعيار الجماعة كمصدر للتأثير على أفعاله ومن ناحية أخرى فإن الشخص الذي يستجيب بشكل مستقل في الموقف قد يسلك أولا يسلك في إطار مثل هذه التوقعات، ومن ثم فإن الشخص المستقل يدرك التوقعات الاجتماعية بيد أنه لا يعتمد عليها كموجه لسلوكه، لأن التمييز بين المجاراة المضادة والاستقلال يكمن بوضوح في القصد الداخلي للشخص وهذا ما يزيد من صعوبة التفسير.

النموذج السابع:شكل رقم (7) يوضح النموذج السابع لأبعاد المجاراة

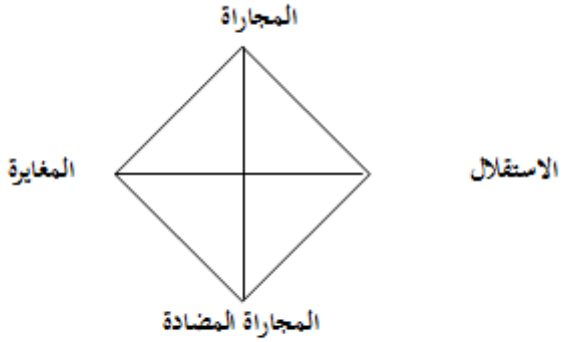

و يتضمن صورة مطابقة للنموذج السادس، بيد أنه يحدد الطرف المقابل لبعد الاستقلال و هو المغايرة في الاستجابة، و يميز ويلز في هذا النموذج بين أربعة فئات ممكنة للاستجابة لضغوط المجاراة (الاستقلال و المغايرة والمجاراة و المجاراة المضادة)، بينما تمثل المجاراة – المجاراة المضادة بعدا ثنائي القطب، يوضح المدى الذي يحاول الفرد فيه السلوك سواء بشكل متسق مع توقعات الدور المدرك (مجاراة تامة)، أو في اتجاه مضاد لتوقعات الدور المعيارية (لا مجاراة تامة)، يمثل الاستقلال – المغايرة بعدا آخر للاستجابة و هو يمثل على المستوى النظري بعدا مستقلا عن بعد المجاراة – المجاراة المضادة. وفي أحد أطراف هذا البعد يوجد الاستقلال التام والذي يحدث عندما يدرك الفرد التوقعات المعيارية الملائمة ولكنه يعطيها وزنا صفريا في تشكيل قراراته وهذا لا يعني أنه لا يعطيها وزنا مطلقا بمعنى تقييم أهميتها وملاءمتها وبالأحرى فإن ناتج عملية التقييم يقوده لرفضها كموجهات لسلوكه والشخص المستقل يكون قادرا على مقاومة الضغوط الاجتماعية، أكثر من كونه غير واع بهذه التوقعات أو يتجاهلها تقريبا، وعلى الطرف الآخر لهذا البعد يوجد الشخص المغاير تماما، والمغايرة تعكس التردد والحيرة التامة.

ويمثل هذا الطرح للنماذج النظرية المتعلقة ببعدية المجاراة استيعابا شاملا لمعظم النماذج التي تتضمنها الدراسات في هذا المجال لحد كبير، ونادرا ما حاول الباحثون في مجال المجاراة، طرح نماذجهم النظرية بوضوح كاف كما فعل ويلز، إلا أن هذه النماذج وصفية تماما لأنها تصف وتسمح بتكميم الاستجابات المتاحة في موقف المجاراة. ولم تحاول تفسير لماذا تحدث استجابة معينة بالذات.

IV - أهم التجارب التي أجريت حول سلوك المجاراة :

تعتبر دراسات ثلاثة من الباحثين و هم (شريف 1935) و (آشAsch 1952)و (كريتشفيلد Kritchfeld 1954)، ثلاثة نماذج أساسية تجسد أسلوب المعالجة التجريبية للمجاراة كظاهرة سلوكية ينبغي التعرف على حيثياتها للتمكن من استخلاص إطار دينامي لما يحدث في مواقف المجاراة، فيما يلي عرض ملخص للتجارب المذكورة:

الأولى: دراسة شريف 1935 :

هي الأقدم بين نظيراتها استهدف من خلالها عملية تكوين المعايير في إطارها المرجعي فجاءت تساؤلات الدراسة كما يلي:

أ- على مستوى الفرد: ما هو نمط السلوك الذي يصدره الفرد حينما يوضع في موقف مستقر من الناحية الموضوعية حيث تتلاشى فيه أسس المقارنة، وبمعنى آخر كيف سيسلك حينما يزول الإطار المرجعي الخارجي؟ هل سيصدر خليطا من الأحكام الشاذة؟ أم سيؤسس نقاطا مرجعية خاصة به؟

ب- على مستوى الجماعة: ما هو سلوك الجماعة في الموقف غير المستقر؟ هل سيصدر الأفراد المختلفين في الجماعة أحكاما شاذة ومتنافرة؟ أن أنهم سيكونون إطارا مرجعيا جماعيا؟

تتركز تجربة شريف على الحركة الظاهرة لبقعة ضوء ثابتة في حجرة مظلمة كموقف غير مستقر يتسم بالإيقاع الذاتي في التكوين،ويمكن الحصول على هذا الأثر من خلال حجرة مظلمة يوضع فيها صندوق مثقوب مضئ يبدو الثقب كبقعة ضوء مفردة تتحرك في مواضع مختلفة ولا يعلم المفحوص المسافة بينه وبين بقعة الضوء مما يدعم فعالية الحركة ووهم الحركة الظاهرة.

وإضافة على سهولة هذا التصميم فهو يمثل موقفا غير محدد البنية تتلاشى فيه النقاط المرجعية الخارجية التي تدعم الإطار المرجعي الخاص بالمفحوص حيث أجري فحص على عينات من طلاب الجامعة غير المهتمين بعلم النفس حتى لا يحملون خلفية حول المواقف المثيرة إدراكيا وكذا الهدف من التجربة، وقد حاول الباحث أن يدرس مدى الحركة التي يخبرها الشخص في موقفين:

الأول: عندما يكون بمفرده باستثناء المجرب للتعرف على استجاباته دون أن تتأثر باستجابات الآخرين الذين يمثلون عوامل اجتماعية.

الثاني: عندما يكون الفرد في موقف الجماعة لاكتشاف مدى التغيير في أحكامه كنتائج لعضويته أو تواجده في الجماعة، وكجزء من التجربة أدخلت مجموعة من الأفراد في الموقف الجماعي دون معرفة مسبقة بالموقف، وبعد ذلك يتم التجريب عليهم فرديا لمعرفة مدى استمرارية التنظيم الإدراكي الذي يتم تأسيسه في الموقف الجماعي في تحديد استجابة الفرد للموقف نفسه حينما يواجهه بمفرده.

خلص الباحث بنتيجة مؤداها أنه في المواقف غير محددة البنية يحتاج الفرد لمحور اهتمام يكون وفقا له مدى و نقطة مرجعية داخل هذا المدى، فقد وجد في التجارب الفردية أن الفرد يميل للمحافظة على المدى الذي كونه و النقطة المرجعية التي يتوصل إليها في التجارب التي تتوالى عليه بعد ذلك، أما في موقف التجريب الجماعي فقد حدث تقارب بين الاستجابات التي أصدرها المفحوصون ذوي التقديرات المتنافرة لمدى الحركة و لم يكن هذا التقارب تاما على عكس الأفراد الذين واجهوا الموقف نفسه كأعضاء في جماعة لأول مرة حيث كونوا مدى و معيارا داخل هذا المدى يميز الجماعة، و حينما يواجه عضو الجماعة الموقف نفسه بعد ذلك بمفرده بعد تكوينه لمعيار جماعي فإنه يدرك الموقف من خلال المدى و المعيار الذي تمثله في الموقف الجماعي مما يدل على أن إطار الدلالة الجماعي يستخدم أيضا حتى عندما يكوون المفحوص بمفرده. (حسن 1998 ص 200)

و تعتبر تجربة شريف أول بحث تجريبي منظم في المجاراة إلا أنه استهدف أساس دراسة طبيعة العملية المعيارية داخل المعمل و بالتالي لم تلفت الاهتمام الذي حظيت به دراسة (آشAsch) من بعده .

الثانية: دراسة آش (Asch 1952):

يتمثل التساؤل الذي انطلق منه آش فيما يلي:

ما هي الظروف الاجتماعية والشخصية التي يمكن أن تدفع الأفراد لمقاومة ضغوط الجماعة أو الخضوع لها خاصة حينما تدرك استجابة الجماعة على أنها خاطئة أو معاكسة للواقع أو الحقيقة؟

و قد صمم آش موقفا تجريبيا اعتبر أساسا لسلسلة من الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ينطلق من بديهية مؤداها أن ضغط الجماعة يستثير تغيرات نفسية حتمية لدى الأفراد، و من ثم يضع هذا الأسلوب الفرد في علاقة صراع جذري مع أعضاء الجماعة الآخرين، تعامل الباحث مع عينة تجريبية و أخرى ضابطة من طلاب الجامعة يقدم لهم زوجا من البطاقات بطاقة على اليمين بها ثلاثة خطوط مختلفة من حيث الطول و بطاقة على اليسار بها خط مفرد يعتبر معيارا للخطوط الثلاثة

الأخرى، يقدم للمفحوص 18 نموذجا مختلفا من هاتين البطاقتين و في كل مرة يحاول المفحوص إيجاد الخط المساوي للخط المعياري بينما يختلف ذلك في كل مرة و بطريقة عشوائية و قد انقسمت العينة إلى نوعين من الأفراد :

أ/ مفحوصون لديهم تعليمات تقتضي بإصدار استجابات خاطئة أو غير متوقعة متفق عليها مسبقا مع المجرب وهم يمثلون وضع الأغلبية (المتحالفين).

ب/ مفحوص مستهدف للمعالجة التجريبية لا يدري شيئا عن حقيقة زملائه في الجماعة وهو يمثل وضع الأقلية دون أن يعرف ذلك.

وقد أتبعت التجربة بمناقشة من أجل الحصول على توضيحات لاستجابات المفحوص المستهدف تتركز حول كيفية تفسير المفحوص لعدم الاتفاق، حيث يطلب منه توضيح الحكم الصحيح في اعتقاده، هل هو حكمه أم حكم الجماعة؟ وما مدى الثقة التي يعول عليها في أحكامه؟

وكأي همل إنساني وجهت انتقادات كثيرة لتجربة آش أهمها: تأثر المفحوصين بالظروف الاجتماعية و الثقافية التي سادت الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة 1950-1960 إثر الحرب الكورية حيث غلب على الشعب الأمريكي حينها الحذر و خشية من التعبير عن وجهات نظر مستقلة و قد أكد أثر هذا المتغير (بيرن و سبنسر Erin &Speencer) سنة 1981, أيضا ما لوحظ على هذه التجربة أن المفحوصين الذين يجتمعون معا في دراسات المجاراة عادة ما يكونون غرباء و بالتالي فإن التفاعل الذي يحدث يكون مختصرا و ضيقا ومحصورا في نطاق اهتمامات المجرب فقط. وبالتالي فإن الحاجة للانتماء ليست مرتبطة باستمرار المجاراة، بالإضافة إلى التساؤل حول إمكانية تعميم هذه النتائج في الحياة الفعلية.

(حسن 1998 ص 217).

لكن رغم هذه الانتقادات فإن أسلوب آش يعتبر من أفضل الأساليب التي تحدث صراعا جادا بين الاتجاهين المتنافسين (الأغلبية- الأقلية) لإعطاء استجابة صحيحة والوصول لاستدلالات حول طبيعة أبعاد الصراع و التخلص منه، هذا الصراع الناتج عن وجود تناقض معرفي بين ما هو واقع و ما هو متوقع في الموقف التجريبي و هذا ما يضفي على التجربة الطابع الدينامي الذي سنفصل فيه بعض الشئ في النقطة الموالية من هذا المقال.

الثالثة: دراسة كريتشفيلد krutchfield 1954 :

استهدفت الدراسة قياس المجاراة و علاقاتها ببعض متغيرات الشخصية و استخدم الباحث في ذلك تصميما تجريبيا يشبه تصميم آش إلى حد ما، لكنه تعامل مع عينة مختلفة تضم رجال أعمال و عسكر بين متوسط عمري 34 سنة ممن تلقوا تعليما جامعيا قسمت إلى مجموعتين إحداهما ضابطة و الأخرى تجريبية حيث يصدرون أحكامهم كتابة على البنود المعروضة عليهم دون استخدام الأجهزة و بالتالي دون علم بأحكام الآخرين، و قد اعتبر توزيع أحكام الجماعة الضابطة على كل فقرة أساسا لتقييم أثر ضغط الجماعة على أحكام المفحوصين التجريبيين، بمعنى أن إعطاء استجابة مغايرة لاستجابة المجموعة الضابطة و متفقة مع حكم الآخرين في الجماعة التجريبية، يعتبر خطأ تورط فيه المفحوص و تحسب له درجة على متغير المجاراة، و قد بلغ عدد الفقرات (الحرجة) المقدمة للمفحوص 21 فقرة تحتوي أحكاما من مختلف الأنواع مثل : أطوال الخطوط، مساحات، أشكال، تكملة منطقية لسلاسل و أرقام و وحدات هجائية، تقديرات لآراء الآخرين وتعبير عن اتجاهات بصدد بعض القضايا و تعبير عن تفصيلات شخصية حول بعض الخطوط المرسومة، و قد تخللت هذه الفقرات (الحرجة) فقرات أخرى (محايدة) و التي يكون فيها اتفاق الجماعة متوقعا أو صحيحة ليساعد على تقبل المفحوص لحقيقة الموقف.

و كجزء آخر من التجربة قسم الباحث الأفراد لمجموعات مكونة من خمسة أفراد تجلس كل مجموعة في كبائن مفتوحة بكل منها لوحة كهربائية عليها مفاتيح و مصابيح ذات ألوان معينة بحيث لا يرى المفحوص اللوحة الكهربائية

لزميله الآخر، و على كل منهم أن يجيب على سلسلة من الأسئلة التي تعرض أمامه على الشاشة و هي نوع من الأسئلة ذات الاختيار المتعدد، و بينما يكون المفحوص متأكدا من إجابته فإنه يدهش باختلاف حكم بقية أفراد المجموعة عن حكمه فيواجه صراعا بين إدراكه الواضح و الاتفاق المخالف للآخرين، و في حقيقة الأمر أن اللوحات الكهربائية ليست متصلة بالكيفية التي أحيط بها الأفراد علما، بل إنها متصلة فقط بلوحة ضبط يتحكم فيها المجرب، إضافة إلى هذا قام الباحث بتطبيق مجموعة من مقاييس الشخصية قصد التعرف على السمات المميزة لمن يتمتع منهم بقدر من المجاراة.

و قد أسفرت النتائج على أن معظم الأفراد أظهروا قدرا متفاوتا من المجاراة على مختلف الفقرات حيث بلغ الارتباط بين معامل ثبات الدرجة الكلية كمقياس للمجاراة العامة في الموقف ودرجات الفقرات (0.82), أما ارتباط المجاراة بمتغيرات الشخصية المستهدفة فقد تراوح بين ارتباطات سلبية وأخرى ايجابية.

وبما أن أسلوب كريتشفلد يشبه كثيرا أسلوب آش فإن الانتقادات نفسها وجهت له والمتعلقة بعدم وجود تفاعل حر والمبالغة في اصطناعية الموقف.

لكن تبقى هذه الدراسات الثلاث لشريف وآش و كريتشفلد منوالا حذت حذوه معظم الدراسات التجريبية المتعاقبة و حتى العربية منها دراسة أبو حطب (1979) و دراسة اسماعيل (1977)، و يبقى الأمر مرتبطا بقدرة الباحث على التوظيف المثمر للأسلوب المستخدم و محاولة استكمال جوانب الضعف فيه بشكل يتيح له الحصول على نتائج أفضل.

يمكن للمفهوم الدينامي للمجاراة المستخلص من خلال الموقف الذي اصطنعه آش في تجربته أن يقرب التصور أكثر, حيث يظهر العنصر الأول عندما تتصارع قوتان بداخل المفحوص المستهدف، إحداهما قوة الموقف المدرك ذاته و التي تبدو قاطعة بسبب وضوحها التام، و الثانية تتمثل في قوة الأغلبية المعارضة الصلبة و غير القابلة للانهيار، و هذا ما يؤدي إلى حدوث حالة من التنافر المعرفي التي تنشأ كنتيجة للتناقض الواضح بين حكم المفحوص الشخصي و الحكم المعلن من جانب الجماعة، و حينئذ يحدث ما يسمى بإنهيار في الإطار المرجعي للشخص و الذي يتعامل من خلاله مع المواقف و الأشياء التي يواجهها في الموقف المثير و هذا ما يؤدي بدوره لحالة من فقدان الاتجاه قبل أن يقدر المفحوص ما إذا كان سيقف مدافعا عن حكمه الشخصي أم يوافق على حكم الجماعة و يقصد بفقدان الاتجاه، الحالة الفينومينولوجية الخاصة بالفاعل أي المفحوص المستهدف، و التي تتسم بارتفاع مستوى القلق و الخوف و الغموض فيما يتعلق بكيفية التعامل أو التصرف حيال الموقف الذي يعايشه. (حسن 1998 ص 25)

و نجد لكل هذا تلخيصا عند (ليون فستنجر Lion Festinger) في نظريته عن التنافر المعرفي فيبين أن الاختلاف في الرأي بين شخصين يؤدي لتنافر المعارف، و هذا التنافر يستثير بدوره حالة من التوتر، و من ثم يكون الفرد مدفوعا لتغيير رأيه نحو الآخر أو رأي الآخر نحو نفسه، أو محاولة البحث عما يؤيد معارفه من شواهد مماثلة لحالته لدى فرد آخر

أما (دويتش و جرارد Deutsch &Gerard) فيتركز تحليلهما على فئتين أساسيتين:

أ- **التأثير المعياري:** وهو يحدث عندما يجاري الفرد توقع الطرف الآخر (شخصا كان أو جماعة) لكي يستحوذ على مشاعر الرضا والقبول من جانب هذا الطرف، بيد أنهما قد لاحظا أن المشاركين في المواقف المعملية للمجاراة لا يشكلون جماعة بالمعنى الذي يجعلهم يشتركون في القيام بعمل يتطلب تعاونا من حيث الجهد المبذول لتحقيق هدف ما، أو بالأحرى هم مجرد مجموعة من الأفراد يصدر كل منهم حكمه مستقلا مما يستلزم وجود نوع آخر من التأثير.

ب- **التأثير المعرفي أو الإعلامي:** ويحدث حينما يتقبل الفرد معلومات من مصدر خارجي يتخذها شاهدا على صدق واقع معين، بمعنى أن الفرد يجاري حكم الآخرين لأنه مقتنع، أو ربما لكي يتجنب أية مضايقات من ناحية الآخر.

ويعتبر هذا النوع من التأثير الأقرب إلى تفسير أحداث الحراك الشعبي الذي مازال السؤال قائما حوله؛ هل التفت صفوفه قناعة أم تجنبا للمضايقات التي تشكك في وطنية من لا يشارك فيه؟.

وما يلاحظ أن مجمل النتائج تؤكد على وجود حالة التناقض والصراع بين فكرتين، بيد أن هناك جانبا آخر مكملا وهو أيضا يمثل أحد جوانب المنظور الدينامي لموقف المجاراة وخاصية الشعور بالخطأ أو وعي الشخص بوجود خطأ ما لمجرد شعوره بأن ثمة تنافسا يبدو غامضا بين الآراء، ومثلما يؤكد آش بأن التناقض بين فكرتين يخلق حالة من التوتر تفضي للشعور بالخطأ. ترى كيف يحاول الشخص الخروج من المأزق وحل التناقض؟

يشير آش إلى أن المفحوص لا يجد أمامه حلا سوى محاولة تفسير هذا التناقض والذي يمكن أن يتم على مستويين:

الأول: يتعلق بفينومينولوجيا المفحوص، حيث يرجع البعض مصدر التناقض إلى حكم الجماعة الخاص و بالتالي يمكن للشخص مقاومة ضغط الجماعة و اتخاذ وضع مستقل و يرجعه آخرون إلى أنفسهم كأن يكون حكمهم ليس دقيقا أو أنهم ليسوا أكفاء وهذا اللوم الذاتي قد يدفع المفحوص لاتخاذ وضع خضوعي أو مجاري لحكم الجماعة بينما ينحو آخرون منحى توفيقيا، فلا يلوم نفسه و لا يلوم الجماعة و إنما يعزو الخطأ في فهم و تفسير السؤال المطروح مما يجعله أكثر تعويلا على حكمه لكن ذلك ليس حتميا فبعض آخر يرون أن ثمة إطارا مرجعيا يتسم بالشرعية لابد من اللجوء إليه لحسم الموقف.

الثاني: على المستوى السلوكي الموضعي، حيث يذكر (جيرارد Gerard) أن للمفحوص طريقتين للخروج من المأزق إما أن يعلن عن حكمه المغاير و الصحيح و الذي يعتقده شخصيا مخالفا لحكم الجماعة و بذلك يقضي على التناقض بين ما يعتقده حقيقة و ما يقوله على المستوى العام أو الظاهري، و إما أن يعلن عن اتفاقه مع حكم الجماعة و من ثم يصبح مجاريا و هو بذلك يقضي على التناقض بين حكمه الحقيقي و حكم الأغلبية المتحالفة.

لكن آش يستطرد ليعطي دليلا ثالثا في الامتناع أو الكف عن الاستجابة في موقف المجاراة أو الانسحاب من الموقف دون إبداء الرأي، والفرد قد يكون مدفوعا بضغوط المجاراة لرفض اتخاذ استجابة سلوكية أو رفض اتخاذ موقف ويعتبر هذا النمط شكلا مفرطا من أشكال المجاراة لا يتخلى فيه الفرد عن رأيه الخاص فحسب بل عن حقه في التعبير عن رأيه كلية.

وكل هذا يستدعي أن نتساءل عن العوامل التي تحدد اتجاهات الفرد في اللجوء إلى أحد هذه التفسيرات دون الأخرى، يتعلق ذلك بمستويين:

أولا : مستوى دافعية الفرد في مواقف التأثير الاجتماعي و الخصائص النوعية لرغباته التي يهدف لإشباعها و التي تلعب دورا كبيرا في ضبط و توجيه السلوك في مثل هذه المواقف و استعداد الفرد للمجاراة أو الاستقلال أو المجاراة في اتجاه مضاد، تتوقف على إدراكه لمدى تحقيقه الإشباع لرغباته من خلال هذا السلوك، فمن خلال المجاراة قد يشبع الفرد رغباته في القبول و المكانة الاجتماعية و تجنب النبذ الاجتماعي أو الانتهازية كهدف خفي مثلا، أما الاستقلال فقد يحقق من ورائه ذاته كما قد يثاب على هذا الاستقلال، و أما المجاراة المضادة فقد تشبع لدى الفرد رغبات عدوانية.

الثاني: ويتعلق بالناحية الانفعالية، إذ أن حالة القلق والتوتر التي يعيشها الفرد عقب موقف التناقض الناتج عن اختلاف حكمه عن حكم الجماعة تجعل من المجاراة أسلوبا لخفض القلق وتجنبه، لكن كريش يضيف أنه في أحيان أخرى يمكن أن تكون الاستثارة الانفعالية سببا في مقاومة حكم الجماعة أكثر من مجاراتهم. (حسن 1998 ص 42).

و يبقى البحث قائما حول الأسباب التي تدفع الفرد أن يكون مجاريا أو لامجاريا وكيف يخرج من مأزق التناقض.

VI- قياس المجاراة:

يعد من الضروري التعرف على كيفية قياس المجاراة والمشكلات التي تعترض إجراءات القياس ويقر الباحثون وسيلتان أساسيتان لقياس المجاراة: الاختبارات الشخصية والمعالجة التجريبية المعملية نتناولها فيما يلي:

VI- 1 الاختبارات الشخصية:

تعتبر الاستخبارات الورقية أكثر الأساليب السيكومترية شيوعا في قياس سمات الاستجابة التفاعلية وتعتبر المجاراة واحدة من هذه السمات، فنجد نماذجا من المقاييس التي استخدمت في قياس المجاراة في بعض الدراسات الارتباطية مثل قياس المجاراة – المخالفة لعبد الستار، مقياس المجارة الاجتماعية لفراج.

لكن السؤال يطرح نفسه هنا، إلى أي مدى يمكن التعويل على نتائج الاستخبارات كأسلوب سيكومتري؟

بما أن مصدر هذه المقاييس هو التقرير الذاتي فإن فقرات هذه المقاييس لا تعكس بالضرورة وجود سمة كاملة للاستجابة التفاعلية، بل إنها تعكس حالة الفرد للاتساق الذاتي، فأنماط السلوك المتنوعة تكون متسقا داخليا بالنسبة للفرد، بمعنى أنها تميل للترابط معا حسب النظرية الضمنية لكريش(Krich)، فإذا ربط سلوكه الفعلي من خلال عينة من وقائع السلوك التفاعلي فقد يوجد اتساق أقل من ذلك الذي يكشف عنه في الاستجابة للمقاييس و لذا فقد نحصل على نوع من الاتساق المصطنع كنتيجة لأسلوب القياس، و بالتالي فإن هذا الأسلوب لا يعد كافيا للقول بأن شخصا مجاريا، كما لا يبرر ذلك التنبؤ بسلوكه بشكل محدد لان الفعل لا يتحدد من خلال سمات مفردة تعمل منفصلة بل من خلال تآلف من السمات و مثلما يوضح ذلك (جوق Gough) في أن تجديد نواتج عملية التفاعل بين مجاراة وغيرها من السمات يعد أمرا ضروريا لفهم هذا النمط من السلوك و التنبؤ به، فمثلا الشخص الذي يتسم بدرجة مرتفعة من السيطرة ودرجة منخفضة من المشاركة يميل للتحليل و النقد و عدم التقبل والاستحسان و مقاومة الحكم و الشخص المرتفع في كل من السيطرة و المشاركة يميل لإصدار مجموعة متنوعة من الاستجابات فهو يؤازر

و يقود ويبادر و بالتالي فإن التفاعل بين ثلاث سمات أو أكثر يؤدي إلى صعوبة التحليل والتفسير مما يستوجب الحذر في بناء هذه المقاييس وتوخي الصدق او الخصوبة بتعبير كريش.

VI-2 المعالجة التجريبية المعملية:

تنحصر الخطوات التجريبية لقياس موقف المجاراة في عنصرين أساسين مثلما تابعنا ذلك في عرض أهم التجارب التي تناولت المجاراة.

العنصر الأول: توفر موقف معملي، يطلب فيه من المفحوص القيام بمهمة ما، قد تكون تقديرا لمدى الحركة لبقعة ضوء ثابتة في حجرة مظلمة (تجربة شريف) أو تقديرا لأطوار الخطوط (تجربة آش)، أو إصدارا للحكم على تفصيلات و اتجاهات معينة (كريتشفيلد)، مع تعليمات محددة لكيفية الاستجابة المطلوبة.

العنصر الثاني: إطار عمل أو سياق يستجيب المفحوص من خلاله في مواقف التأثير الاجتماعي يتكون من استجابات الآخرين في الجماعة بنفس الوقائع المثيرة أو أخرى مقاربة لها.

وفي كثير من الأحيان تتبع التجربة بمقابلة كلينيكية للتعرف على شعور المفحوص و التأكد من حكمه إن كان ظاهريا أو حقيقيا مثلما رأينا ذلك في تجربة (آش)، و تعتبر المقابلة – رغم الانتقادات الموجهة إليها – مؤشرا كيفيا للتمييز بين الفئات النوعية للسلوك في مواقف المجاراة شرط الاستثمار الجيد له و توخي الدقة و الموضوعية في ذلك. (حسن 2001 ص 236)

ويعترض عملية القياس المعملية هذه مشكلة أساسية تتمثل في كيفية التمييز بين الانسياق العام والتقبل الشخصي، (ليون فستنجر Lion Festingr) يضع أربع محكات أساسية لهذا التمييز:

VI-2 -1 يمكن قياس استجابة الشخص العامة و خاصة في وقت متزامن تقريبا تحت الظروف الضاغطة، فيمكن للشخص أن يعطي استجابة عامة شفويا و في الوقت نفسه يعطي استجابة مكتوبة يمكن أن يخفيها عن الجماعة.

لكن هذا يبدوا صعب التحقيق لأن أحد الاستجابات ستصدر قبل الأخرى إضافة إلى أنه لا يمكن الحصول على الاستجابة دون أن يراها المجرب مما قلل من صدق الموقف ويؤثر بالتالي على صدق الإجابة.

VI-2 -2 يمكن رصد الاستجابة العامة للمفحوص (التغيير المؤقت) أثناء وجوده في الموقف الظاهر، أما الاستجابة الخاصة (التغيير الفعلي المستمر) فيمكن ملاحظتها بعد تلاشي موقف التأثير أو مغادرة الفرد لموقف الجماعة، و يعتبر التغير الحقيقي دالة لمدى التباين بين الاستجابة المعطاة في ظل ظروف الضغط، و تلك التي رصدت في غياب موقف التأثير أو الضغط و كلما كان التباين ضئيلا كان التغير حقيقيا أو متسما بالاستمرارية و العكس صحيح لكن الاتفاق بين السلوك الشخصي للمفحوص و السلوك العام في موقف التأثير ليس مبررا للاستدلال على أن ذلك الاتفاق يمكن أن يوجد

طالما وجدت ظروف تتسم بالضغط الاجتماعي فالاستجابة الخاصة قد تتغير نحو الاتفاق مع الاستجابة العامة كنتيجة لمؤثرات أخرى أثناء الوقت المنقضي بين القياسين.

VI-2 -3 يتمثل المحك الثالث في التقارير اللفظية المسترجعة حيث تجرى المقابلات لتحديد ما إذا كان التقبل الشخصي موجودا حينما اتفق الشخص بشكل ما مع حكم الجماعة.

لكن هذا المحك معرض للتحيز وعدم الدقة ولعدم القدرة على التعبير اللفظي أحيانا.

VI-2 -4 يتضمن المحك الرابع نموذج التحويل الذي يفترض أن التغير الشخصي يحدث حينما يتفق الشخص بوجه عام مع الجماعة و يمكن اختبار تحويل السلوك أو انسحابه على مجالات سلوكية أخرى مرتبطة بالسلوك موضوع التغير، و بالتالي فإنه يمكن التنبؤ بالتقبل الشخصي من خلال استجابة الشخص للقضايا الأخرى.

لكن هذا التحويل معرض للفشل وليس من السهل تحديد أسباب الفشل إن كانت مرتبطة في التقبل الشخصي أو لأسباب أخرى غير معروفة.(حسن 2001 ص 239)

كانت هذه محكات فستنجز الأربعة للتميز بين الانصياع العام والتقبل الشخصي وتعرضها للنقد لا ينقص من قيمتها، لكن التعرف على نقاط الضعف لكل محك يمثل قاعدة جديدة في المجال السيكومتري لأساليب القياس واستثمارها بشكل جيد.

ومثل هذا يقال حول أسلوبي القياس المطروحين في هذا العنصر، فلكل أسلوب منهجي جوانب قوته وجوانب ضعفه، وتتوقف خصوبة الأسلوب ونجاحه على كفاءة الممارس له من ناحية، ومدى وعيه بجوانب ضعفه من ناحية أخرى لمحاولة تجنبها.

VII- تفسيرات نظرية لسلوك المجاراة :

VII-1 نظرية التحليل النفسي :

تتركز نظرية التحليل النفسي في تفسير سلوك المجاراة على الأنظمة الفرعية الثلاثة المتمثلة في الهو الأنا والأنا الأعلى وما تسفر عنه عملية الصراع بين هذه الأنظمة فالهو يسعى باستمرار إلى إشباع رغباته بما فيها الرغبات المحرمة مما يؤدي إلى الدخول في صراع مع الأنا الأعلى الذي يرفض هذه المطالب ولا يقبل إلا ما يتماشى مع قيم المجتمع الأخلاقية أما الأنا فيمثل مطالب الواقع لا يتدخل في عملية الصراع قصد التوفيق بينهما.

وبالتالي فإن ما يمثل حالة المخالفة وعدم الامتثال للنظام الاجتماعي الهو، الذي لا يقيم وزنا للقيم والمعايير الاجتماعية ويوجه سلوكه وفق رغباته وشهواته، بينما الأنا الأعلى فيمثل ضمير الفرد الذي يوجه سلوكه بموجب الأعراف والمعايير الاجتماعية ويمنعه من انتهاكها بمعنى أن الفرد يتحكم فيه الأنا الأعلى يوجه سلوكه بموجب مطالبه التي تكون في العادة مطالب المجتمع ومؤسساته.

VII-2 النظرية السلوكية :

يعتبر أصحاب هذه النظرية السلوك الاجتماعي نتاجا للتعلم، ومن ثم فإن المجاراة أيضا نتاج للتعلم، ويمكن أن تحدث المجاراة عن طريق نوعين من التعلم هما: الإشراط الكلاسيكي والإشراط الإجرائي.

ويقصد بالإشراط الكلاسيكي أن المجاراة تحدث بفعل اقتران منبه شرطي مع آخر غير شرطي لتكوين الاستجابة الشرطية التي هي في العادة سلوك المجاراة شرط أن يصاحب العلاقة الشرطية تعزيزا كلما ظهرت هذه العلاقة إلى حيز الوجود.

أما الشرط الإجرائي فهو أيضا يرى أن السلوك الاجتماعي يكسب بفعل العلاقة بين الاستجابة والتعزيز.

ويمكن الإشارة إلى أن هذه النظرية (الإشراط الإجرائي) تختلف من حيث التوجه النظري مع الإشراط الكلاسيكي في تشكيل العلاقة الشرطية، إذ ترى نظرية الإشراط الكلاسيكي أن العلاقة الشرطية تشكل بفعل الاقتران بين المنبه والتعزيز بمعنى أن التعزيز يظهر أولا ثم يعقب ذلك الاستجابة، في حين أن الإشراط الإجرائي يشترط ظهور الاستجابة أولا ثم يعقب ذلك التعزيز.

وعند تطبيق هذا المنطلق على سلوك المجاراة نجد أن الفرد يعزز عند تقديم الاستجابة الدالة على المجاراة أولا ثم بعد ذلك ينتظر التعزيز المناسب، و في حال تكرار مثل هذه الاستجابة يتوقع أيضا حصول التعزيز المناسب، و هكذا فإن الفرد يتعلم أن يظهر المجاراة أولا ثم يتوقع بعد ذلك المكافأة، و ينطبق الأمر نفسه على المخالفة، ففي حال تقديم استجابة دالة على مخالفة قانونية أو إيذاء للآخرين، فإنه يتوقع أن ينال جراء ذلك عقابا يتناسب و حجم المخالفة.(حسن 2001 ص 242)

VII-3 نظرية التعلم بالملاحظة :

تفسر نظرية التعلم بالملاحظة سلوك المجاراة على أساس مشاهدة النموذج و مراقبة الأفعال التي تصدر عنه ثم تقليده، و بهدف نمذجة المجاراة، فإن الطفل ينتقي نماذجه أولا من المحيط الأسري و ذلك بمراقبة والديه ثم بعد ذلك يندمج الاستجابات الصادرة عنهما بخصوص المجاراة،

وعند دخول المدرسة، يبدأ بنمذجة الاستجابات الصادرة عن المعلمين، كذلك فإن وسائل الاتصال الجمعية التي يتعرض لها تعتمد هي الأخرى على نمذجة لسلوكه بما يتناسب و الأهداف الإيديولوجية السائدة في المجتمع، لكن يشترط في نمذجة المجاراة عدد من العوامل، أهمها أن يكون النموذج على قدر من الجاذبية، أن يتمتع بالدفء، أن يعتمد على تعزيز سلوك الفرد، أن يتمتع النموذج بمكانة اجتماعية رفيعة، إضافة إلى وجود تشابه بين الفرد و النموذج، أو في كثير من الأحيان أن يكون النموذج من الذكور على أن يكون من الإناث، لأنه مدعاة للتقليد أكثر من النموذج الأنثوي.

ومن خلال هذه العوامل يمكن القول أن الفرد يمكن أن يدمج الخصائص الشخصية للنموذج، فضلا عن نمذجة قيمه ومعاييره.

VII-4 نظرية (كلمان Kelman 1974):واضع هذه النظرية انطلق من فرضية مفادها أن ثمة عمليات ثلاث تجعلنا نتقبل التأثير الاجتماعي أولا و هي : الإذعان، التوحد و الإستدخال، و يمكن تفسير المجاراة في ضوء هذه العمليات الثلاث كما يلي :

الإذعان:يحدث الإذعان لدى الفرد عن طريق تعريضه إلى الضغط، وذلك بتهديده بالعقوبة ووعده بالمكافأة وفقا للنظام الاجتماعي

و الالتزام بقواعده، و بالتالي يجد نفسه أمام خيارين إما التمتع بالفرص التي يتيحها له النظام الاجتماعي و يعني ذلك الإحساس بالأمان

و تجنب الألم، و إما تقبل الألم و الحرمان من الحياة الكريمة و يعني ذلك الإحساس بعدم الإرتياح و توقع العقوبة.

التوحد: استمد هذا المفهوم من نظرية التحليل النفسي، ويقصد به أن الفرد يتبنى آراء شخص آخر أو جماعة أخرى تصل به حد الإعجاب كتوحد الأفراد مع شخصية قائدهم ويتقبلون منه أن يتحكم بسلوكهم بكل بساطة، مثلما حدث ذلك مع (غاندي) الذي أصبح مجتمعه ينتهج أسلوبه في تجنب العنف وإن كان ذلك بعيدا عن الرقابة أو الإشراف وهم بذلك يتقبلون منه تنظيم المجتمع بالطريقة التي يراها هو مناسبة مما يدل على التوحد معه.

الإستدخال: أخذ هذا المفهوم أيضا من نظرية التحليل النفسي، فهو مشتق من مفهوم التوحد و يعني التوحد بمفهوم التحليل النفسي بأنه إستدخال قيم و معايير و سلوك الشخص الآخر من الجنس نفسه، أما (كلمان Kelman) فيقصد به أن الفرد يتقبل الرأي الذي يجد فيه تطابقا مع نسقه القيمي، و الاختلاف بين المفهومين أن فرويد يعني بالإستدخال نمذجة سلوك الشخص الآخر من الجنس نفسه، أما عند كلمان فيعني التطابق أو التماثل في الرأي و كلما تحققت حالة من التطابق في

الرأي، تحققت معها عملية الإستدخال و العكس صحيح كلما صار تنافر و عدم تطابق في الرأي ضعفت عملية الإستدخال، و طبقا لهذا المفهوم تصبح المجاراة حالة تطابق مع إكراه الجماعة.

VII-5 نظرية الاستجابة :

تتضح فكرة (بريم >) واضع هذه النظرية في أن الأفراد يسعون لتأكيد حريتهم عندما يجدون أنها مهددة رغم الضغوط التي يتعرضون إليها، لذا فهم يحاولون إتباع طرق مختلفة لاستعادة حريتهم، و يسمي (بريم) هذه الاستثارة بالاستجابة النفسية، فالرد هنا لا يعمل على إيقاف حريته السلوكية التي شعر أنها أخذت تستلب منه، بل يحاول إعادة تأسيس الحرية المستلبة، كأن يرفض الإذعان وأن يعمل بطريقة معاكسة للطلبات التي يتلقاها لعله يجد فيها بعض ما فقده من حريته السلوكية، و بالتالي فإن النظرية تشير إلى أن ضغوطا خارجية يتعرض لها الفرد بهدف إرغامه على الإذعان رغم محاولاته المستمرة بعدم الإذعان لها غير أن شدتها تجعله يذعن أحيانا لبعض الطلبات.

VII-6 نظرية المقارنة الاجتماعية :

تنطلق هذه النظرية من فرضية أساسية مفادها أن الفرد يمتلك دافعا لتقويم آرائه و قدراته، و يلجأ إلى الآخرين لغرض عقد مقارنة معهم على مستوى الآراء و القدرات، فإن وجد أن آراءه متطابقة مع آراء الآخرين فإنه يشعر بالاطمئنان لصحة آرائه، و إن وجد فيها ما لا يتطابق مع آراء الآخرين فذلك دليل على عدم صحتها، كذلك يفعل الشئ نفسه مع قدراته، وتعتبر التقويمات التي يتخذها للحكم على آرائه و قدراته بمثابة مكافآت، فالرأي الصحيح هو الرأي الذي يتطابق مع رأي الآخرين، و بالتالي فإن إجماع الجماعة هو في الوقت نفسه تعزيز لآرائه.

كما تشير النظرية إلى وجود عوامل معينة تؤثر في عملية المقارنة ومن أبرزها عامل المكانة الاجتماعية للشخص الذي تتم المقارنة معه، إما أن تكون رفيعة وإما أن تكون متدنية كذلك فإن الجاذبية التي تتمتع بها الجماعة تؤثر على عملية المقارنة، فكلما كانت الجماعة أكثر جاذبية للفرد كان ذلك أدعى للمقارنة، وكلما كانت أقل جاذبية ضعفت عملية المقارنة وصرف الفرد انتباهه إلى جماعة أخرى أكثر جاذبية وتعد هذه العوامل المؤثرة في المقارنة بمثابة ضغوط تجعل الفرد أكثر تماثلا مع توجهات الجماعة وأهدافها.

وتتمثل هذه الضغوط أيضا في أن الجماعة عندما تجد أن أحد أعضائها لديه آراء تتعارض مع آرائها، فإنها في الحال ترفضه أو أنها تضغط عليه لجعله أكثر تماثلا معها وعدم الخروج على معاييرها. (حسن 2001 ص 245)

وهكذا كان لكل نظرية وجهة نظر تختلف عن الأخرى وتعتبر هذه الأخيرة (المقارنة الإجتماعية) الأقرب إلى تفسير أحداث الحراك وذلك حين أشارت إلى الجاذبية التي تتمتع بها الجماعة وتأثيرها على عملية المقارنة والتي بدورها تشكل ضغطا يجعل الفرد أكثر مجاراة مع أهداف الجماعة وتوجهاتها.

IV- الخلاصة:

استنادا إلى ما سبق فلكي يستطيع الإنسان أن يصل إلى غايته و يحقق أهدافه لابد و أن يساير الجماعة التي ينتمي إليها ، لأن هناك مواقفا متعددة و مختلفة يتعرض لها الإنسان في حياته تحكم علاقته بالآخرين إيجابيا و سلبيا و لمن أراد أن يكون قويا في أعين الناس يجب أن تنطلق قوته من داخله و هذا يعني أن القوة تسكن في أعماق الإنسان فإذا استطاع أن يجاري في المواقف التي تحتاج إلى ذلك و أن يخالف في المواقف الأخرى بحيث يتعارض مع إرادته و قراراته الصائبة و بالتالي يتمتع بشخصية قوية و مؤثرة . ويمكن لدراسة ميدانية يتم فيها قياس مستوى المجاراة لعينة من أفراد المجتمع الّذين خرجوا في الحراك وساندوه أن تدعم هذا التحليل النظري وتبرز للموضوع أبعادا أخرى في التفسير وبالتالي تفتح هذه الدراسة الباب لمواصلة البحث والتدقيق في هذا المفهوم الذي لم يأخذ نصيبه من البحث في الجزائر على وجه الخصوص.

- قائمة المراجع:

1- عبد الستار إبراهيم (1985) ،الإنسان و علم النفس ، ط 2، سلسلة عالم المعرفة الكويت .
2- شكور جليل وديع (1989)، أبحاث في علم النفس الاجتماعي و دينامية الجماعة ، ط 1، دار الشمال, لبنان .
3- الحجازي مدحت بد الرزاق ،(2012)، معجم مصطلحات علم النفس عربي, إنجليزي ,فرنسي , لبنان , دار الكتب العلمية . الكويت
4- حسن علي حسن ، (1998) ، سيكولوجية المجاراة الضغوط الاجتماعية و تغير القيم ، دون طبعة ، دار غريب ، القاهرة .
5- زهران , حامد عبد السلام ، (2003)،علم النفس النمو الطفولة و المراهقة ط 4 , عالم الكتب ، مصر .
6- زهران, حامد عبد السلام ، (2003) , علم نفس الإجتماعي , ط 5 ،عالم الكتب ،مصر .
7- سمور,أحلام نعيم عبد الله، (2012)، لمسايرة-المغايرة وعلاقتها بالتوكيدية والإتزان الإنفعالي ,رسالة ماجستير منشورة, الجامعة الإسلامية, غزة.
8- العتوم عدنان يوسف ، (2009) , علم نفس الجماعة ، ط 1 , إثراء للنشر و التوزيع ، الأردن
9- عثمان السيد (1987) , علم النفس الإجتماعي التربوي الجزء الثاني المسايرة , المغايرة , مكتبة الأنجلو مصرية ، مصر.
10- عيسوي عبد الرحمن ،(1980) ،علم النفس في الحياة المعاصرة ، دون طبعة ، دار المعارف. مصر.
11- السيد فؤاد البهي , سعد عبد الرحمن ، (2000), علم الإجتماعي رؤية معاصرة , دار الفكر العربي , القاهرة .
12- حسن محمود شمال ، (2001) ، سيكولوجيا الفرد في المجتمع ، ط 1 ، دار الآفاق العربية ، القاهرة .
13- المعجم في اللغة العربية ، (2008) , ط 3 , بيروت , لبنان , دار المشرق .
14 – bauma and etal, 1985 , social psychology , new york random house .
15 - sillamy norbert , 1980, dictionnaire de psychologie bordas, paris

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

مخن مجول سامية ، (2021)، **المجاراة بين التدقيق والتحقيق** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 13(04)/ 2021، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة (ص.ص 325-340) .